الفصل الأول

الرحلة إلى القناطر

دقت شمس الصباح الأبواب برفق، فاستيقظ كل من أسامة وهدى وهما فى غاية النشاط والسعادة والانشراح. فلقد حضر ضيف حبيب للزيارة مرة أخرى. إنه الربيع الجميل.. لقد هل الربيع يا رفاق واليوم سوف يخرج كل من أسامة وهدى للقاء الضيف الذى طال الشوق إليه. فاليوم سوف يذهبان فى رحلة مدرسية إلى القناطر ليستمتعا بجمال الطبيعة فى تلك الأيام البديعة. كما إنهما يشعران بالسعادة أيضا لأن الأستاذ معروف سوف يكون من بين مجموعة المعلمين المشرفين على الرحلة. فالأستاذ معروف يخلص فى عمله، ويهتم بتشجيع التلاميذ على طلب العلم وحب المعرفة. فهو يعقد دائما جلسات دردشة مع التلاميذ ليعرفهم بأسرار الخلق البديع ويقدم لهم التفسيرات العلمية التى تفسر جمال وروعة الخلق. ولهذا السبب فالأستاذ معروف يعرفه الجميع، كما أن تلاميذه يقدرون المعروف الجميل الذى يسديه إليهم. استقل الجميع أتوبيس الرحلات والتقى أسامة وهدى ببقية الأصدقاء وتبادلوا التحيات. فأسامة وهدى يصادقان ويحترمان كل الزملاء ولكن هناك صداقة قوية تربطهما مع كل من معتز ومنى. وكالمعتاد، جلس معتز بجوار أسامة وجلست منى بجوار هدى. وانطلق الأتوبيس فى طريقه إلى القناطر وانطلقت معه الضحكات والفرحات تندفع من النوافذ وأخذت تنتشر فى كل مكان مر به الأتوبيس تعلن عن سعادة الجميع وتضفى السعادة على كل من مر بهم من الناس.. فاليوم ترتدى الطبيعة حلة جديدة وبديعة ذات ألوان زاهية تضىء وتبرق فى كل مكان، وتضفى على الدنيا من حولهم الجمال والبساطة.. إنه الربيع يا رفاق.. جاء مرة أخرى للقاء.

obeikandl.com

وفى القناطر اختاروا بقعة ظليلة وافترشوا فيها الأرض. وبمجرد أن وضعوا أمتعتهم، قام أسامة مسرعا وشد أخته هدى ليلعبا الكرة وشاركهما كل من معتز ومنى. فهذه لعبة أسامة المفضلة، واضطرت هدى أن تتعلمها حتى لا تشعر بالملل والوحدة إذا ما لم تشارك أخاها. وبدأت اللعبة. وكان أسامة يتحرك بكل لياقة ونشاط فهو يلعب الكرة يوميا بصفة مستمرة مع أصدقائه فى المدرسة. أما هدى المسكينة فكانت تتحرك ببطء فهى ليست ماهرة فى هذه اللعبة، وكذلك كانت منى. وانتهز أسامة الفرصة ليظهر مهاراته على هدى فأخذ يحاورها ويناورها بسرعة عجيبة حتى أنها كانت تتحاشاه فى بعض الأحيان حتى لا يصطدم بها. وفجأة.. اختل توازن أسامة ووقع على حجر كبير كان فى طريقه.. «آآآه»، هكذا صرخ أسامة. وسمع الأستاذ معروف صرخة أسامة فجرى إليه مسرعا فوجد جرحا كبيرا فى ركبته اليمنى. لقد كانت خبطة قوية سببت ألما كبيرا لأسامة. فأجلسوه على الأرض وهرع الأستاذ معروف ونظف له الجرح بالماء ثم وضع عليه بعض المطهرات ولفه بشاش نظيف. جلس أسامة صامتا فاردا ساقيه، فهو الآن لا يستطيع أن يحاور ويناور مثلما كان يفعل منذ برهة! وجلست بجواره أخته هدى ثم منى من ناحية ومن الناحية الأخرى صديقه معتز.

نظر الأستاذ معروف إلى أسامة وقال له: من الآن فصاعدا، عليك أن تحافظ على جرحك يا أسامة، فلا تعبث به، وعليك أن تجعله نظيفا بصفة مستمرة وأن تضع عليه المطهرات وتربطه حتى يلتئم. وهنا سألت هدى: أستاذى الفاضل، لماذا حرصت على وضع المطهرات على الجرح بهذه السرعة؟ ألم يكن تنظيف الجرح بالماء كافيا؟. فرد الأستاذ معروف: تنظيف الجرح بالماء هام جدا ولكنه لا يكفى. فالجرح مثل النافذة التى تسمح بدخول الميكروبات الجسم. ولكى نقلل من عدد الميكروبات الغازية، فإننا نستخدم المطهرات لأنها مواد كيمائية تقتل الميكروبات التى توجد على الجلد. فردت هدى: وأين توجد هذه الميكروبات، إننى لا أرى شيئا على جلدى؟ فضحك وقال: هذا صحيح

يا هدى، فأنت لن تريها أبدا، ولكنها موجودة على جسمك، وداخله، وعلى جسم كل إنسان أيضا. والسبب فى إنك لن تريها هو أنها كائنات صغيرة جدا جدا، أى أنها متناهية فى الصغر. فمتوسط طولها يكون فى حدود واحد على المليون من المتر. فردت منى: يا الهى! هذا يعنى أنها صغيرة إلى حد لا يتخيله العقل. فرد الأستاذ معروف: نعم يا منى، ولهذا نطلق عليها لفظ الميكروبات وهو يعنى الكائنات المتناهية فى الصغر.

وهنا سأل أسامة: ولم الخوف من الميكروبات يا أستاذى؟ فرد عليه: إن بعض أنواع الميكروبات تكون ضارة للجسم، وإذا ما دخلته تسبب له الأمراض. ولهذا نستخدم المطهرات حتى نقلل بقدر الإمكان من العدد الذى يدخل الجسم. فرد أسامة: إذن من الآن فصاعدا سوف أحافظ على الجرح وأهتم بنظافته. وسألت منى: وهل توجد الميكروبات فى أماكن أخرى يا أستاذنا؟ فرد قائلا: نعم يا منى، فالميكروبات توجد فى كل مكان من الممكن أن تتخيليه. فهى توجد فى الهواء الذى نستنشقه وفى الماء الذى نشربه وفى الطعام الذى نأكله وعلى أجسامنا وعلى أجسام الحيوانات والنباتات، وفى التربة والأنهار والبحار والمحيطات. فليست هناك وسيلة للهروب من الميكروبات يا أحباب. قالت هدى والحيرة تبدو على وجهها: ولكن قل لى يا أستاذى، إذا كانت الميكروبات تحوم من حولنا فى كل مكان وتدخل أجسامنا بكل الوسائل، فلماذا لا نمرض بصفة مستمرة؟ فرد قائلا: هذه ملاحظة ذكية منك يا هدى، والسبب أننا لا نمرض كثيرا هو أن الله سبحانه وتعالى قد وهب الجسم بنعمة عظيمة تحميه من الميكروبات والمواد الضارة التى تدخله، إنها الجيوش الفدائية التى تكون جهاز المناعة.

obeikandl.com